الربانيون في القرآن الكريم

وأثر هذا المفهوم عند الدعاة من

أهل العلم

– دراسة تحليلية–

إعداد

أ.م.د محمود عبد الستار شلال الدهان

كلية التربية للبنات –جامعة الأنبار

Issn:2071-6028

المقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولي الألباب، وأودع فيه من فنون العلم والحكم العَجب العُجاب، وجعله أجلَّ الكتب قدراً وأغزرها علما وأعذبها نظماً وأبلغها في الخطاب، قرآناً عربياً غير ذي عوج، لا مخلوق ولا شبهة فيه ولا إرتياب، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، الذي عنت بقيوميته الوجوه وخضعت لعظمته الرقاب، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشعاب، إلى خير امة بأفضل كتاب، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب. وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، بدين عام خالد ختم به الأديان. فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزله كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وناط به كل سعادة. فالقرآن الكريم اشتمل على كثير من الموضوعات المتنوعة، التي تخدم المجتمع المسلم، وتدفع بالجميع إلى حياة أفضل في شتى ميادين الحياة. لذا جاء عنوان بحثي هذا **(الربانيون في القرآن الكريم وأثر هذا المفهوم عند الدعاة من أهل العلم– دراسة تحليلية–)** حيث صورت آيات هذا البحث شأن من لا يحكم بشريعة الله، ودعوتها للتأسي بالأخيار من أتباع الأنبياء، وبيان حقيقة الترابط بين موكب الرسل والرسالات، وإستحالة أن يأمر النبي الناس بان يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله، والإشارة إلى سمات المجتمعات الفاسدة، وسكوت القائمين فيها على الشريعة والقائمين على أمر العلم الديني من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد جاءت خطة البحث مكونة من تمهيد وأربعة مطالب وخاتمة غير هذه المقدمة، متبعاً فيه المنهج التحليلي الذي يقوم على الأُسس العلمية في تحليل النصوص القرآنية، ومعتمداً على أهم المصادر من كتب اللغة والتفسير والحديث والبلاغة والقراءات القرآنية.

الباحث

Issn:2071-6028

تمهيد

الربانيون في اللغة والإصطلاح

أولاً/ الربانيون لغة:

((رب)): الراء، والباء ، يدل على أصولٍ، فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه. والأصل الثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول. والأصل الثالث: ضم الشيء، وهو أيضاً مناسب لما قبله، ومتى أُمعن النظر كان الباب كله قياساً واحد(١).

فالرب: المالك، والخالق، والصاحب، والرب: المصلح للشيء، يقال: رب فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحه، وهذا سقاء مربوب بالرب، والرُّب للعنب وغيره، لأنه يُرَبُّ به الشيء. والربُ: المصلح للشيء، والله جل ثناؤه الرَبُّ، لأنه مصلح أحوال خلقه، والرّبيُّ: العارف بالرَّب. ورَبَبْتُ الصبيَّ أُرَبُّه، وَرَبَّبْته أُرَبّبهُ، والرَّبيبة: الحاضنة، وربيب الرَّجُل: ابن امرأته من غيره، والراب: الذي يقوم على أمر الربيب(٢). والرب باللام لا يطلق لغير الله ﷻ، وهو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، وقد يخفف. ولا يقال الرَّبُّ، بالألف واللام لغير الله إلا بالإضافة. والاسم: الرِّبابَة بالكسر، والرُّبوبيَّة بالضم. وجمع الرب: أرباب(٣). والرَّبُّ في الأصل التربية، وهو إنشاءُ الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال: رَبُّهُ وَرَبَّاهُ وَرَبَّبَهُ(٤).

وعلم ربوي: بالفتح: نِسبةُ إلى الرب، على غير قياس، ولا ورَبْيك لا افْعَل، مخففة، يريد لا ورَبِّك، فأبدل الباء ياء لأجل التضعيف. ورب كل شيءٍ: مالكه ومستحقه، أو صاحبه. ويقال: فلان ربُّ هذا الشيء، أي مِلكه له وكل من ملك شيئاً فهو ربه(٥).

والرِّبِّي والرَّبَّاني: الحَبرُ وربُّ العلم. زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب. وهو منسوب إلى الرَّبَّان، وفَعْلانُ يُبْنَى من فَعِلَ كثيراً، كعطشانَ وسكرانَ، ومن فَعَلَ قليلاً كَنَعْسان، وقيل: هو منسوب إلى الرَّبِّ الذي هو المصدر، وهو الذي يَرُبُّ العلْمَ كالحكيم، وقيل منسوب إليه ومعناه يَرُبُّ نفسه بالعلم، فقد رب العِلمَ، ومن رَبَّ العِلمَ فقد رب نفسه به. وقيل: هو منسوب إلى الرَّبِّ،

---

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٤٥٨/١ (مادة ربّ).

(٢) العين: للفراهيدي: ٣٢٩، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٤٥٨/١ (مادة ربّ)، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٥ (مادة الرَّبُّ)، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١٩١ (مادة رب).

(٣) العين: للفراهيدي: ٣٢٩ (مادة ربَّ)، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٤، (مادة الرَّبُّ)، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١٩٠ (مادة رب)، ولسان العرب: لابن منظور: ٢٣/٤ (مادة ربب).

(٤) المفردات: للراغب الأصفهاني: ١٩٠ (مادة رب)، ولسان العرب: لابن منظور: ٢٦/٤ (مادة ربب).

(٥) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٤، (مادة الرَّبُّ)، ولسان العرب: لابن منظور: ٤/ ٢٣ (مادة ربب).

Issn:2071-6028

إلى الله تعالى، فالرباني كقولهم: إلهيّ، وزيادة النون فيه للمبالغة في النسب كزيادته في قولهم: لحيانيٌّ وجسمانيٌّ وشعرانيٌّ ورقبانيٌّ، إذا خص بطول اللحية، وقوة الجسم، وبكثرة الشعر، وغلظ الرقبة. فإذا نسبوا إلى اللحية، قالوا: لحيٌّ، وإلى الجسم، قالوا: جسمانيٌّ، وإلى الشعر، قالوا: شعرانيٌّ، وإلى الرقبة، قالوا: رقبانيٌّ. قال سيدنا علي ﷺ: (أنا ربانيٌّ هذهِ الأمة). فالربي: منسوب إلى الرَّبِّ. والربَّانيُّ: الموصوف بعلم الرَّبِّ. والجمع: ربانيون[١]. وقيل: رَبانيٌّ لفظ في الأصل سُرْياني وأخلِقْ بذلك فقلما يوجد في كلامهم. وقوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِير**﴾[٢]، فالرِّبيُّ كالرَّبَّانيِّ[٣].

ثانياً/ الربانيون إصطلاحاً:الربَّانيُّ: المتأله العارف بالله ﷻ[٤]. وقيل: الموصوف بعلم الرَّبَّ. وقيل: العالم المعلم، الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها. وقيل: الربانيون: حكماء علماء. وقيل: العالم الراسخ في العلم والدين، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله. وقيل: العالم العامل المعلم. وقيل: العالي الدرجة في العلم. وقيل: الربانيون: العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي[٥]. وقيل: الربانيون: كاملو العلم. قال محمد بن الحنفية ﷺ حين مات ابن عباس ﷺ: (اليوم مات ربانيٌّ هذهِ الأمة)[٦].

فالربانيون إذاً هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين، ولذلك قال مجاهد: هم فوق الأحبار، لان الأحبار هم العلماء، والرباني: الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم[٧].

---

(١) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٤ (مادة الرَّبُّ)، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١٩١ (مادة رب)، ولسان العرب: لابن منظور: ٢٦/٤ (مادة ربب).

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٤٦.

(٣) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٤ (مادة الرَّبَّ)، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١٩٠ (مادة رب)، ولسان العرب: لابن منظور: ٢٦/٤ (مادة ربب).

(٤) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٤ (مادة الرَّبُّ).

(٥) لسان العرب: لابن منظور: ٢٦/٤ (مادة ربب).

(٦) غريب القرآن: للسجستاني: ٩٥، ولسان العرب: لابن منظور: ٤/ ٢٦ (مادة ربب).

(٧) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٣/ ٣٢٧، والكشاف: للزمخشري: ١٧٩، والمحرر الوجيز: لابن عطية: ٤٦٢/١، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٧٩/٤، وزاد المسير: لابن الجوزي: ٣٣٦/١، والتفسير الكبير: للرازي: ٨/ ١٠٣، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ١/ ٣٧٧،وروح المعاني:للآلوسي:٢/ ٢٠٠.

Issn:2071-6028

المطلب الأول

تنزيه الله لأنبيائه عما أفتراه أهل الكتاب عليهم

قال تعالى:﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾(١).

أولاً/ تحليل الألفاظ

١. قوله تعالى: ﴿**تُعَلِّمُونَ**﴾.

((علم)): العين، واللام، والميم، أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره(٢). يقال: عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض جَهِلَ(٣). والعلِم والعالِمُ والعَلاَّم من صفات الله ﷻ. وعليم: فعيل من أبنية المبالغة. ويجوز ان يقال للإنسان الذي علمه الله علماً من العلوم عليم، كما قال يوسف عليه السلام للمَلك(٤): ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾(٥). والعَلَمَ: الراية، إليها مجمع الجند، والعَلامَة والمَعْلَم والعَلَم: ما جعلته عَلَماً للشيء. والعالَم: الطّمَس، أي الأنام، يعني الخلق كله، والجمع عالمون(٦). وعَلاّمٌ وعَلاَّمةٌ: إذا بالغت في وصفه بالعِلْمِ: أي عالم جداً، والهاء للمبالغة. وعلِمت الشيء اعْلَمهُ عِلماً: عرفته، ويقال: عَلِمَ وفَقِهَ أي: تَعلَّم وتَفَقَّه، وعَلُم وفَقُه: أي ساد العلماءَ والفقهاء(٧).

٢. قوله تعالى: ﴿**تَدْرُسُونَ**﴾.

((درس)): الدال، والراء، والسين، أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء(٨). والدَّرس: الطريق الخفي، يقال: دَرَس المنزلُ: عفا، ومن الباب الدَّريسُ: الثوب الخلق، ومنه دَرَسَت المرأة: حاضت، ويقال: إن فَرجها يكنى أبا أدراس، وهو من الحيض. والدَّرْسُ: ضرب من الجَرَب يبقى له أثرُ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١٥٩/٢ (مادة علم).

(٣) العين: للفراهيدي: ٦٧٥،ومعجم مقاييس اللغة:لابن فارس: ١٥٩/٢،ولسان العرب:لابن منظور: ٤١٥/٦(مادة علم).

(٤) العين: للفراهيدي: ٦٧٦، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٣٤٨، ولسان العرب: لابن منظور: ٤١٥/٦ (مادة علم).

(٥) سورة يوسف: من الآية ٥٥.

(٦) العين: للفراهيدي: ٦٧٦، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١٥٩/٢، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٣٤٨، والمصباح المنير: للفيومي: ٤٢٧/٢، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٥١، ولسان العرب: لابن منظور: ٤١٨/٦ (مادة علم).

(٧) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١١٥١، ولسان العرب: لابن منظور: ٤١٥/٦ (مادة علم).

(٨) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٤٠٣/١ (مادة درس).

Issn:2071-6028

متفشٍّ في الجلد[١]. والدَّرس: بقية أثر الشيء الدّارس. والمصدر الدُرُوس[٢]. ودرس الكتاب: يَدْرُسُه دَرْساً ودِراسة ودارَسَه من ذلك، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه. ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس[٣]. والمِدْراس والمِدرَسُ: الموضع الذي يدرس فيه. والمِدْرَسُ: الكتاب. والمُدارِس: الذي قرأ الكتب ودرسها. والمِدْراس: البيت الذي يدرسُ فيه القرآن. ودرست السورة أي حفظتها. وسمي إدريس عليه السلام، لكثرة دراسته لكتاب الله تعالى[٤].

ثانياً/ سبب النزول

١. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو رافع القرظي: حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام، قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ قال: معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، فأنزل الله في ذلك[٥]: **﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾**[٦].

٢. عن الحسن قال: بلغني أن رجلاً قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: لا، ولكن أكرموا نبيكم وأعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، فأنزل الله[٧]: **﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ**

---

(١) العين: للفراهيدي: ٢٨٨، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١/ ٤٠٣، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١٧٥، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٥٦٨، ولسان العرب: لابن منظور: ٣٣٥– ٣٣٦ (مادة درس).

(٢) العين: للفراهيدي: ٢٨٨، ولسان العرب: لابن منظور: ٣/ ٣٣٥ (مادة درس).

(٣) العين: للفراهيدي: ٢٨٨، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١٧٤، والمصباح المنير: للفيومي: ١٩٢/١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٥٦٨، ولسان العرب: ٣٣٥/٣ (مادة درس).

(٤) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٥٦٨– ٥٦٩، ولسان العرب: لابن منظور: ٣٣٦/٣ (مادة درس).

(٥) فتح القدير: للشوكاني: ٣٥٦/١، وجامع البيان: للطبري: ٣٢٥/٣، وأسباب نزول القرآن: للواحدي: ٢٣٨، والكشاف: للزمخشري: ١٧٩، والمحرر الوجيز: لابن عطية: ٤٦٢/١، والجامع لإحكام القرآن: للقرطبي: ٧٩/٤، وزاد المسير: لابن الجوزي: ٣٣٥/١، والتفسير الكبير: للرازي: ١٠١/٨، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٣٧٧/١، ولباب النقول: للسيوطي: ٥٤، وروح المعاني: للآلوسي: ١٩٩/٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٩٣/٣.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

(٧) أسباب النزول: للواحدي: ٢٣٨، والكشاف: للزمخشري: ١٧٩، وزاد المسير: لابن الجوزي: ٣٣٥/١، والتفسير الكبير: للرازي: ١٠١/٨، ولباب النقول: للسيوطي: ٥٤، وروح المعاني: للآلوسي: ١٩٩/٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٩٣/٣.

Issn:2071-6028

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(١).

ثالثاً/ المناسبة

لما حكى تعالى قبائح أهل الكتاب، وما هم عليه من الحنث والكيد والمكر، أعقبه بذكر بعض أوصاف اليهود خاصة وهي خيانتهم من الناحيتين: المالية والمدينية، فقد خانوا الله والناس بتحريفهم كلام الله عن معناه، واتبعاه بما يدل على أن من جملة ما حرموه ما زعموا ان عيسى عليه السلام كان يدعي الإلهية، وانه كان يأمر قومه بعبادته، وكذلك استحلالهم أكل أموال الناس بالباطل فلهذا قال(٢): **﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾**(٣).

رابعاً/ القراءات

١. قوله تعالى: **﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ﴾**، فقد قرأت (والنبوءة ثُم) بالهمزة وإدغام التاء في الثاء(٤).
٢. قوله تعالى: **﴿لِلنَّاسِ﴾**، فقد قرأ أبو عمرو وحمزة وابن ذكوان بالإمالة(٥).
٣. قوله تعالى: **﴿لِي﴾**، فقد قرأ عيسى بن عمر (لِيَ)(٦).
٤. قوله تعالى: **﴿تُعَلِّمُونَ﴾**، فقد قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير وعاصم ومجاهد وأبو حاتم (تَعْلَمُون)(٧). وقرأ مجاهد والحسن (تَعَلَّمون)(٨).
٥. قوله تعالى: **﴿تَدْرُسُونَ﴾**، فقد قرأ أبو حيوة (تُدَرِّسون)(٩)، وقُرأ (تُدْرِسُون)(١).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩.
(٢) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ١٠١/٨، ونظم الدرر: للبقاعي: ٢/ ١١٧– ١١٨، وروح المعاني: للآلوسي: ١٩٩/٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٩٣/٣، وصفوة التفاسير: للصابوني: ١٨٩/١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٩.
(٤) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ١٧٩، وأتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ١٧٦.
(٥) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ١٨٠.
(٦) ينظر: البحر المحيط: لأبي حيان: ٢/ ٥٠٦.
(٧) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ١٧٩، ومعاني القرآن: للفراء: ٢٤٤/١، وجامع البيان: للطبري: ٥٤٥/٦– ٥٤٦، والسبعة في القراءات: لابن مجاهد: ٢١٣، والكشف عن وجوه القراءات: للقيسي: ٣٥١/١، والتيسير: للداني: ٨٩، والحجة في القراءات: لابن خالويه: ١١٢، ومجمع البيان: للطبرسي: ٤٦٥/٢، والتفسير الكبير: للرازي: ١٠٤/٨، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ٨٢/١، والجامع لإحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٣/٤، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٥٠٦/٢، والنشر في القراءات العشر: لابن الجزري: ٢/ ٢٤٠، وأتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ١٧٧.
(٨) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ١٩٨/١، وإعراب القرآن: للنحاس: ١٦٨/١، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ٨٢/١، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٥٠٦/٢، والكشاف: للزمخشري: ١٩٨/١.
(٩) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ١٧٩.

Issn:2071-6028

خامساً/ الأوجه البلاغية

إن من أهم ما اشتملت عليه الآية هو الالتفات[٢] من طريقة الغيبة[٣]وذلك في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[٤].

سادساً/ الإعراب

١. قوله تعالى: ﴿**أَنْ يُؤْتِيَهُ**﴾، ﴿**أَنْ**﴾: حرف مصدري ونصب، ﴿**يُؤْتِيَهُ**﴾: فعل مضارع منصوب بـ(أَن) وعلامة نصبه فتح آخره، والفعل ينصب مفعولين، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول أول[٥].

٢. قوله تعالى: ﴿**الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ**﴾، ﴿**الْكِتَابَ**﴾: مفعول ثان منصوب وعلامة نصبه فتح آخره[٦]. ﴿**ثُمَّ**﴾: حرف عطف، ﴿**يَقُولَ**﴾: بالنصب معطوف على (يؤتي) وعلامة نصبه فتح آخره[٧].

٣. قوله تعالى: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ**﴾، ﴿**بِمَا**﴾: الباء حرف جر، و(ما): مصدريه تسبك ما بعدها بمصدر، ﴿**كُنْتُمْ**﴾: (كان): فعل ماض ناقص، والتاء ضمير متصل في محل رفع اسمها، والميم: علامة الجمع، والجملة في موضع الصفة لربانيين[٨].

سابعاً/ المعنى العام

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ١٠٤/٨، والجامع لإحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٣/٤، والمحتسب: لابن جني: ١٦٣/١، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٥٠٦/٢.

(٢)الإلتفات: هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، أو الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر. ينظر: بديع القرآن: لابن أبي الاصبع المصري: ٥٨.

(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٣/ ٢٩٧.

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٧٩.

(٥) ينظر: إعراب القرآن: للنحاس: ١/ ١٦٧، والبرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٧٤/٢.

(٦) ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٧٤/٢.

(٧) ينظر: إعراب القرآن: للنحاس: ١٦٧/١، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ١٤١، والبرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٧٤/٢.

(٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ١٤١،والبرهان في إعراب آيات القرآن:للأهدلي:٧٤/٢– ٧٥.

Issn:2071-6028

هذا الشوط من الآية يجري مع الخط الأول الأساسي العريض فيها، خط المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة .... معركة العقيدة، وما يبذل أعداء هذا الدين من جهد ومن حيلة ومن مكيدة ومن خداع، ومن كذب ومن تدبير للبس الحق بالباطل، وبث الريب والشكوك، وتبييت الشر والضر لهذهِ الأمة بلا وناة ولا انقطاع، ثم مواجهة القرآن لهذا كله بتبصير المؤمنين بحقيقة ما هم عليه من الحق، وحقيقة ما عليه أعداؤهم من الباطل، وحقيقة ما يبيته لهم هؤلاء الأعداء، وبتشريح طباعهم وأخلاقهم وأعمالهم ونياتهم على مشهد من الجماعة المسلمة، لتعريفها حقيقة أعدائها، وفضح ما يضفونه على أنفسهم من مظاهر العلم والمعرفة، وتبديد ثقة المخدوعين من المسلمين فيهم، وتنفيرهم من حالهم، وإسقاط دسائسهم بتركها مكشوفة عوراء، لا تخدع أحداً ولا تنطلي على أحد(١). فتمضي الآيات في عرض نماذج أهل الكتاب، بعرض نموذج المضللين الذين يتخذون من كتاب الله مادة للتضليل، يلوون ألسنتهم به عن مواضعه، ويؤولون نصوصه لتوافق أهواء معينة، ويشترون بهذا كله ثمناً قليلاً ... عرضاً من عروض هذهِ الحياة الدنيا، ومن بين ما يلوون ألسنتهم به ويحرفونه ويؤولونه ما يختص بمعتقداتهم التي ابتدعوها عن المسيح ابن مريم عليه السلام، مما اقتضته أهواء الكنيسة وأهواء الحكام سواء(٢)، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾(٣).

ولقد بلغت بهم الغفلة والشرك أنهم ظنوا أن الله لم يختر رسولاً أمينا على المنهج، وظنوا بالله ظن السوء، أو أنهم ظنوا أن الرسول سيحرف المنهج كما حرفوا هم، فتحولوا عن عبادة الله إلى عبادة من بعثه الله رسولا(٤). قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾(٥). وهذا تنزيه لأنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام إثر تنزيه الله تعالى عن نسبة ما افتراه أهل الكتاب إليه، وقيل: تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام(٦). فما ينبغي لبشرٍ آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله، أي مع الله،

(١) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/ ٦٠٤– ٦٠٥.

(٢)ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/ ٦١٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٨.

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي: ٣/ ١٥٦٢.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٧٩.

(٦) ينظر: تفسير الكشاف: للزمخشري: ١٧٩، وروح المعاني: للآلوسي: ١٩٩/٢.

Issn:2071-6028

فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا مرسل، فإنه لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى(١).

يقول الإمام الرازي: قوله تعالى: ﴿**أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ**﴾ إشارة إلى ثلاثة أشياء ذكرها على ترتيب في غاية الحسن، وذلك لان الكتاب السماوي ينزل أولاً ثم انه يحصل في عقل النبي فهم ذلك الكتاب واليه الإشارة بالحكم، ثم إذا حصل فهم الكتاب، فحينئذ يبلغ ذلك إلى الخلق وهو النبوة فما أحسن هذا الترتيب(٢). فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم القيام، ونصحوا الخلق، وبلغوهم الحق(٣). وقوله: ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ قيد قصد منه تشنيع القول بإن يكونوا عباداً للقائل بإن ذلك يقتضي أنهم انسلخوا عن العبودية لله تعالى إلى عبودية البشر، لان حقيقة العبودية لا تقبل التجزئة لمعبودين، فإن النصارى لما جعلوا عيسى ربا لهم، وجعلوه إبنا لله، قد لزمهم أنهم انخلعوا عن عبودية الله فلا جدوى لقولهم: نحن عبيد الله وعبيد عيسى، فلذلك جعلت مقالتهم مقتضية ان عيسى عليه السلام أمرهم بان يكونوا عباداً له دون الله، والمعنى أن لآمر بأن يكون الناس عباداً له هو آمر بانصرافهم عن عبادة الله(٤).

إن النبي يوقن انه عبد، وان الله وحده هو الرب، الذي يتجه إليه العباد بعبوديتهم وبعبادتهم. فما يمكن ان يدعي لنفسه صفة الألوهية التي تقتضي من الناس العبودية. فلن يقول نبي للناس: ﴿**كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ .. ولكن قوله لهم(٥): ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾(٦)منتسبين إلى الرب، عُبّاداً له وعبيداً، متوجهين إليه وحده بالعبادة، آخذين عنه وحده منهج حياتكم، حتى تخلصوا له وحده فتكونوا ﴿**رَبَّانِيِّينَ**﴾ بحكم علمكم للكتاب وتدارسكم

(١) ينظر: جامع البيان: للطبري:٣/ ٣٢٤،والجامع لأحكام القرآن:للقرطبي:٤/ ٧٨،وتفسير القرآن العظيم:لابن كثير: ١/ ٣٧٧.

(٢) التفسير الكبير: ٨/ ١٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ١/ ٣٧٧.

(٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٣/ ٢٩٤– ٢٩٥.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٧٩.

(٦) في ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/ ٦٢١.

Issn:2071-6028

له، تابعين طريق الرب، منسوبين أليه بكمال العلم المزين بالعمل، فهذا مقتضى العلم بالكتاب ودراسته(١).

ثامناً/ ما يستفاد من الآية

١. إن الحق ﷻ حين ينزل منهجه، فهو ينزله في كتاب، ويقتضي ذلك أن يصطفي سبحانه إنسانا للنبوة والرسالة.

٢. إن الرسول يجيء بمنهج ويطبقه على نفسه ويبلغه للناس، حتى لا يسمع الناس المنهج ككلام فقط، ولكن يرونه تطبيقاً أيضاً.

٣. إن فائدة الدرس العلم، وفائدة العلم العمل.

٤. إن المؤمنين أهل علم وعمل، فهم على بصيرة من ذلك، على عكس أهل الزيغ والكفر، فإنهم يضفون على أنفسهم مظهر العلم بما يؤولونه من نصوص وبما يوافق أهواءهم .

المطلب الثاني

صبر الأتباع عند المصائب أو عند موت المتبوع

قال تعالى: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾**(٢).

أولاً/ تحليل الألفاظ

١. قوله تعالى: **﴿وَهَنُوا﴾**

((وهن)): الواو، والهاء، والنون، كلمتان تدل إحداهما على ضعف، والأخرى على زمان(٣). فالوَهْنُ: الضعف في العمل وفي الأشياء، وكذلك في العظم ونحوه، قال تعالى: **﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾**(٤)، أي لزمها بحملها إياه ان تضعف مرة بعد مرة، وكلما عظم في بطنها زادها ضعفا على ضعف(٥). وقد وَهَنَ العظم يَهِنُ وَهَناً وأوْهَنَه يُوهِنُه توهيناً. ورجل واهنٌ في الأمر والعمل،

(١) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٣/ ٣٢٨، ونظم الدرر: للبقاعي: ٢/ ١١٨، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/ ٦٢١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢/ ٦٤٩ (مادة وهن).

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٤.

(٥) المفردات: للراغب الأصفهاني: ٥٤٩، ولسان العرب: لابن منظور: ٩/ ٤٢٣ (مادة وهن).

Issn:2071-6028

وموهونٌ في العظم والبدن. والوَهْنُ: ساعة تمضي من الليل. يقال: لقيته مَوْهنا، أي بعد وَهْن، وأوهنَ الرجل: دخل في تلك الساعة[١]. والأنثى واهنة، وهُنَّ وُهُنٌ. وامرأة وهنانةٌ: فيها فتور عند القيام وأناة[٢].

٢. قوله تعالى: ﴿**ضَعُفُوا**﴾

((ضعف)): الضاد، والعين، والفاء، أصلان متباينان، يدل احدهما على خلاف القوة، ويدل الآخر على ان يزاد الشيء مثله[٣]. فالأول: الضَعف والضُعف بفتح الضاد وضمها، ضد القوة، وقد ضَعُف فهو ضعيفٌ واضعْفه غيره، وقوم ضعاف وضُعفاء وضَعَفة أيضاً بفتحتين مخففاً، واستضعفه: عده ضعيفاً[٤]. وأما الأصل الآخر، فيقال: أضعفت الشيء إضعافاً، وضعَّفته تضعيفاً، وضاعفْتُه مُضاعَفةً، وهو أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر[٥]. وقيل: الضُعف بالضم في الجسد، والضَعف بالفتح في الرأي والفعل، وقيل: وهما جائزان في كل وجه[٦].

قال الراغب: والضعف قد يكون في النفس، وفي البدن، وفي الحال ... ولقد قوبل الضعف بالاستكبار[٧]، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**﴾[٨].

٣. قوله تعالى: ﴿**اسْتَكَانُوا**﴾

((سكن)): السين، والكاف، والنون، أصل واحد مطرد، يدل على خلاف الاضطراب والحركة[٩]. يقال: سكن الشيء يسكن سكوناً فهو ساكن، إذا ذهبت حركته. واسكنَه هو وسَكَّنه غيره تسكيناً.

---

(١) العين: للفراهيدي: ١٠٧٠، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢/ ٦٤٩، والمصباح المنير: للفيومي: ٢/ ٦٧٤، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٢٤٧،والمفردات:للراغب الأصفهاني: ٥٤٩،ولسان العرب: لابن منظور:٩/٤٢٣– ٤٢٤(مادة وهن).

(٢) لسان العرب: لابن منظور: ٩/ ٤٢٣ (مادة وهن).

(٣) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢/ ٤٧ (مادة ضعف).

(٤) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢/ ٤٧، ومختار الصحاح: للرازي: ٣٨١، ولسان العرب: لابن منظور: ٥/ ٥٠٤ (مادة ضعف).

(٥) العين: للفراهيدي: ٥٤٩، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢/ ٤٧، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٢٩٩، ومختار الصحاح: للرازي: ٣٨١ (مادة ضعف).

(٦) لسان العرب: لابن منظور: ٥/ ٥٠٥ (مادة ضعف).

(٧) المفردات: ٢٩٩ (مادة ضعف).

(٨) سورة سبأ: من الآية ٣٣.

(٩) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١/ ٥٦٤ (مادة سكن).

Issn:2071-6028

وكل ما هدأ فقد سَكَن كالريح والحر والبرد ونحو ذلك. وسكن الرجل سكت. والسَّكْن: الأهل الذين يسكنون الدار. والسَّكْنُ: المرأة لأنها يسكن إليها. وسكان السفينة سمي لأنه يسكنها عن الاضطراب. ومن الباب السكينة: وهي المهابة والرزانة والرداعة والوقار. والمِسْكين: هو الذي لا شيء له وهو ابلغ من الفقير. والمسكنة: مصدر فعل المسكين. والأنثى مسكينة[١]. والمسكينة: المدينة المنورة[٢]. وسكن واسكَنَ واسْتَكَنَ وتمسْكَنَ واستكان: خضع وذل، تزاد الألف فيقال: استكان وهو كثير في كلام العرب، مأخوذ من السكون[٣].

ثانياً/ المناسبة

لما حث تعالى على الصبر والتقوى ونبه المؤمنين إلى إمداد الله لهم بالملائكة في غزوة بدر، عقّبه بالأمر بالمسارعة إلى نيل رضوان الله، ثم ذكر بالتفصيل غزوة أحد وما نال المؤمنين فيها من الهزيمة بعد النصر بسبب مخالفة أمر الرسول ﷺ، ثم بين أن الابتلاء سنة الحياة، وأن قتل الأنبياء لا ينبغي أن يُدخل الوهن إلى قلوب المؤمنين. وان من تمام تأديب الله تعالى للمنهزمين يوم أحد انه قال: إن لكم بالأنبياء المتقدمين وأتباعهم أسوة حسنة، فلما كانت طريقة الأنبياء المتقدمين الصبر على الجهاد وترك الفرار، فكيف يليق بكم هذا الفرار والانهزام. ثم توالت الآيات الكريمة في بيان الدروس والعبر من غزوة أحد[٤].

ثالثاً/ القراءات

١. قوله تعالى: ﴿نَبِيٍّ﴾، فقد قرأ نافع (نبىء)[٥].

---

(١) العين: للفراهيدي: ٤٣٦، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١/ ٥٦٤، والمصباح المنير: للفيومي: ١/ ٢٨٣، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٢١٥، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٢٤٢، ولسان العرب: لابن منظور: ٤/ ٦٣٠ (مادة سكن).

(٢) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٢١٥، ولسان العرب: لابن منظور: ٤/ ٦٣٥ (مادة سكن).

(٣) المصباح المنير: للفيومي: ٢٨٣/١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٢١٥، ولسان العرب: لابن منظور: ٤/ ٦٣٥ (مادة سكن).

(٤) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٤/ ١١٦، والتفسير الكبير: للرازي: ٩/ ٢٣، ونظم الدرر: للبقاعي: ٢/ ١٦٣، وروح المعاني: للآلوسي: ٢/ ٢٩٤، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/ ١١٦، وصفوة التفاسير: للصابوني: ١/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ١٨٣.

Issn:2071-6028

٢. قوله تعالى: ﴿**قَاتَلَ**﴾، فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن واليزيدي وابن عباس (قُتِل)(١)، وقرأ قتادة (قُتِّل)(٢).

٣. قوله تعالى: ﴿**رِبِّيُّونَ**﴾، فقد قرأ الحسن وعلي وابن مسعود وابن عباس وعكرمة وأبو رجاء وعمرو بن عبيد وعطاء بن السائب (رُبيّون)(٣)، وقرأ ابن عباس وقتادة (رَبيّون)(٤).

٤. قوله تعالى: ﴿**وَهَنُوا**﴾، فقد قرأ الحسن والأعمش وأبو السمّال (وَهِنوا)(٥)، وقرأ أبو السمّال وعكرمة (وَهْنوا) بإسكان الهاء(٦).

٥. قوله تعالى: ﴿**لِمَا أَصَابَهُمْ**﴾، فقد قرأ الشنبوذي (إلى ما أصابهم)(٧).

٦. قوله تعالى: ﴿**ضَعُفُوا**﴾، فقد قرأ (ضَعَفوا) بفتح العين(٨).

رابعاً/ الأوجه البلاغية

١. الاستفهام المجازي(٩): وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ**﴾، لان المراد منها تذكير المستفهم بالتكثير(١٠).

---

(١) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ١٨٣، ومعاني القرآن: للفراء: ٢٣٧/١، والسبعة في القراءات: لابن مجاهد: ٢١٧، والكشف عن وجوه القراءات: للقيسي: ١/ ٣٥٩– ٣٦٠، ومجمع البيان: للطبرسي: ٥١٦/٢، والتفسير الكبير: للرازي: ٩/ ٢٣، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٣/ ٧٢، والنشر في القراءات العشر: لابن الجزري: ٢/ ٢٤٢، واتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ١٨٠

(٢) ينظر: البحر المحيط: لأبي حيان: ٣/ ٧٢، والمحتسب: لابن جني: ١/ ١٧٣.

(٣) ينظر: إعراب القرآن: للنحاس: ١/ ١٨٣، والكشاف: للزمخشري: ١٩٨، ومجمع البيان: للطبرسي: ١٧٣/١، والتفسير الكبير: للرازي: ٩/ ٢٤، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ٨٩/١، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٣/ ٧٤، واتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ١٨٠.

(٤) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ١٩٨، والتفسير الكبير: للرازي: ٢٤/٩، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ١/ ٨٩، والمحتسب: لابن جني: ١/ ١٧٣، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٧٤/٣.

(٥) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ١٩٨، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ٨٩/١، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٧٤/٣، والمحتسب: لابن جني: ١٧٤/١، واتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ١٨٠.

(٦)ينظر :إعراب القرآن: للنحاس:١٨٣/١، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ٨٩/١، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٣/ ٧٤.

(٧) ينظر: اتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ١٨٠.

(٨) إعراب القرآن: للنحاس: ١/ ١٨٣، والبحر المحيط: لأبي حيان: ٣/ ٧٤.

(٩) الاستفهام المجازي: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، وكانت تلك الصورة وقوع نسبية بين الشيئين أولاً وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو المجاز. ينظر: التعريفات: للجرجاني: ١٨

(١٠) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٩/ ٢٤، وروح المعاني: للآلوسي: ٢/ ٢٩٥، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢/ ١١٦.

Issn:2071-6028

٢. التعريض[١]: وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ**﴾، فإن الكلام تعريض بتشبيه حال أصحاب أحد بحال أصحاب الأنبياء السالفين، لان محل المثل ليس خصوص الانهزام في الحرب، بل ذلك هو الممثل. وأما التشبيه فهو بصبر الإتباع عند حلول المصائب أو موت المتبوع[٢].

٣. الترادف[٣]: وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**﴾، حيث جمع بين الوهن والضعف، وهما متقاربان تقارباً قريباً من الترادف، فالوهن قلة القدرة على العمل وعلى النهوض في الأمر. والضعف ضد القوة في البدن، وهما هنا مجازان. فالأول أقرب إلى الاستسلام والفشل في المقاومة. وأما الاستكانة فهي الخضوع والمذلة للعدو. ومن اللطائف ترتيبها في الذكر على حسب ترتيبها في الحصول، فإنه إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء، وجاء الاستسلام فتبعته المذلة والخضوع للعدو[٤].

خامساً/ الإعراب

١. قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ**﴾: أصله أي الاستفهامية، أدخل عليها التشبيه فصارت بمعنى (كم) الخبرية التكثيرية، وهي كناية عن عدد مبهم في محل رفع مبتدأ[٥].

٢. قوله تعالى: ﴿**قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ**﴾، ﴿**مَعَهُ**﴾ظرف مكان، ومضاف إليه، متعلق بواجب الحذف خبر مقدم، ﴿**رِبِّيُّونَ**﴾: مبتدأ مؤخر وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، والنون زيدت عوضاً عن التنوين الذي في الاسم المفرد، والجملة في محل نصب على الحال من الضمير المستتر في ﴿**قَاتَلَ**﴾[٦].

---

(١) التعريض: هو الكلام المشار به إلى جانب، ويهام أن الغرض جانب آخر. ويسمى تعريضاً لما فيه من التعرج عن المطلوب. يقال: نظر إليه بعرض وجهه، أي بجانبه، ومنه المعاريض في الكلام وهي التورية بالشيء عن الشيء. ينظر: التعريفات: للجرجاني: ٣٩.

(٢) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢/ ١١٦.

(٣) الترادف: عبارة عن الاتحاد في المفهوم. وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. ينظر: التعريفات: للجرجاني: ٣٦.

(٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢/ ١١٨– ١١٩.

(٥) ينظر: إعراب القرآن: للنحاس: ١/ ١٨٣، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ١٥١، والبرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٢/ ١٢٧.

(٦) ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٢/ ١٢٨.

Issn:2071-6028

٣. قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾، ﴿**وَاللَّهُ**﴾: الواو إبتدائيه، (الله): مبتدأ مرفوع بالابتداء، ﴿**يُحِبُّ**﴾: فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره (هو) يعود على الله جل جلاله، ﴿**الصَّابِرِينَ**﴾: مفعول به منصوب بالياء، وجملة الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ(١).

سادساً/ المعنى العام

يضرب الله المثل للمسلمين من إخوانهم المؤمنين قبلهم. من موكب الإيمان اللاحب الممتد على طول الطريق، الضارب في جذور الزمان .. من أولئك الذين صدقوا في إيمانهم، وقاتلوا مع أنبيائهم، فلم يجزعوا عند الابتلاء، وتأدبوا – وهم مقدمون على الموت –بالأدب الإيماني في هذا المقام .. مقام الجهاد .. فلم يزيدوا على ان يستغفروا ربهم، وان يجسموا أخطاءهم فيروها (إسرافا) في أمرهم. وأن يطلبوا من ربهم الثبات والنصر على الكفار .. وبذلك نالوا ثواب الدارين، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء، وإحسانهم في موقف الجهاد، وكانوا مثلاً يضربه الله للمسلمين(٢)، قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ*وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(٣).

فالكلام تعريض بتشبيه حال أصحاب أحد بحال أصحاب الأنبياء السالفين، لان محل المثل ليس هو خصوص الانهزام في الحرب بل ذلك هو الممثل. وأما التشبيه فهو بصبر الأتباع عند حلول المصائب أو موت المتبوع. فالآية جاءت على هذا النظم البديع الصالح لحمل الكلام على تثبيت المسلمين في حال الهزيمة وفي حال الإرجاف بقتل النبي ﷺ(٤). فعاتب الله بهذهِ الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بان محمداً ﷺ قد قتل، فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال(٥). لقد كانت الهزيمة في (أحد) هي أول هزيمة تصدم المسلمين، الذين نصرهم الله ببدر وهم ضعاف قليل، فكأنما وقر في نفوسهم أن النصر في كل موقعة هو السنة الكونية، فلما أن صدمتهم أحد، فوجئوا بالابتلاء كأنهم لا ينتظرونه. ولعله لهذا طال الحديث حول هذهِ الواقعة في القرآن الكريم. واستطرد السياق يأخذ المسلمين بالتأسية تارة،

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/ ٩٧.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ١٤٦– ١٤٧.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/ ١١٦– ١١٨.

(٥) جامع البيان: للطبري: ٤/ ١١٦– ١١٧، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ١/ ٤١٠.

Issn:2071-6028

وبالاستذكار تارة، وبالتقرير تارة، وبالمثل تارة. تربية لنفوسهم، وتصحيحاً لتصورهم، وإعداداً لهم. فالطريق أمامهم طويل، والتجارب أمامهم شاقة، والتكاليف عليهم باهظة، والأمر الذي يندبون له عظيم. والمثل الذي يضربه لهم هنا مثل عام، لا يحدد فيه نبياً، ولا يحدد فيه قوماً. إنما يربطهم بموكب الإيمان، ويعلمهم أدب المؤمنين، ويصور لهم الإبتلاء كأنه الأمر المطرد في كل دعوة وفي كل دين، ويربطهم بأسلافهم من إتباع الأنبياء، ليقرر في حسهم قرابة المؤمنين للمؤمنين، ويقر في أخلادهم ان أمر العقيدة كله واحد، وأنهم كتيبة في الجيش الإيماني الكبير[1]. قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾[2]. حيث جاءت الآية على هذا النظم البديع الصالح لحمل الكلام على تثبيت المسلمين في حال الهزيمة وفي حال الإرجاف بقتل النبي ﷺ. و(الربيون) جمع ربيّ وهو المتبع لشريعة الرب مثل الرباني، والمراد بهم هنا أتباع الرسل وتلامذة الأنبياء، ومحل العبرة هو ثبات الربانيين على الدين مع موت أنبيائهم ودعاتهم[3]. فما ضعفت نفوس هذهِ الجماعة التي قاتلت لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح، وما ضعفت قواهم عن الاستمرار في الكفاح، وما استسلموا للجزع ولا للأعداء.. فهذا شأن المؤمنين المنافحين عن عقيدةٍ ودين[4]. فقوله: ﴿**فَمَا وَهَنُوا**﴾ أي الربانيون، إذ من المعلوم أن الأنبياء لا يهنون، فالقدوة المقصودة هنا، هي الاقتداء بأتباع الأنبياء، أي لا ينبغي ان يكون أتباع من مضى من الأنبياء أجدر بالعزم من أتباع محمد ﷺ[5]. وجمع بين الوهن والضعف، وهما متقاربان تقارباً قريباً من الترادف، فالوهن قلة القدرة على العمل، وعلى النهوض في الأمر، والضعف ضد القوة في البدن، وهما هنا مجازان، فالأول أقرب إلى خور العزيمة، ودبيب اليأس في النفوس والفكر، والثاني أقرب إلى الاستسلام والفشل في المقاومة. وأما الاستكانة فهي الخضوع والمذلة للعدو. ومن اللطائف ترتيبها في الذكر على حسب ترتيبها في الحصول: فإنه إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء، وجاء الاستسلام، فتبعته المذلة والخضوع للعدو. فإذا كان هذا شأن أتباع الأنبياء، وكانت النبوءة

(١) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٩/ ٢٣، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/٩٨، وتفسير الشعراوي: ٣/ ١٥٠٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٤/ ١٤٧، وزاد المسير: لابن الجوزي: ١/ ٣٧٩- ٣٨٠، والتفسير الكبير: للرازي: ٩/٢٣، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ١/٤١٠، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/١١٨، وتفسير الشعراوي: ٣/ ١٨٠٦.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/ ٩٨.

(٥) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/ ١١٨.

Issn:2071-6028

هدياً وتعليماً، فلا بدع أن يكون هذا شأن أهل العلم، وأتباع الحق، أن لا يوهنهم ولا يضعفهم ولا يخضعهم مقاومة مقاوم، ولا أذى حاسد أو جاهل[١].

يقول الإمام الشعراوي: (وكل من ﴿**وَهَنُوا**﴾ و ﴿**ضَعُفُوا**﴾ و ﴿**اسْتَكَانُوا**﴾جاءت في موقعها الصحيح، لان الوهن بداية الضعف والوهن محله القلب وهو ينضح على الجوارح ضعفاً. فكل ذلك الضعف والوهن لا يشغلهم عن المعركة، لأنهم لو صبروا على التحمل لأمدهم الله بمدد من عنده، لأنه حين تفرغ أسباب الخلق وتنتهي يأتي إمداد الخالق)[٢]. ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ الذين لا تضعف نفوسهم، ولا تتضعضع قواهم، ولا تلين عزائمهم، ولا يستكينون أو يستسلمون .. والتعبير بالحب من الله للصابرين له وقعه، وله إيحاؤه. فهو الحب الذي يأسوا الجراح، ويمسح على القرح، ويعوض ويربو عن الضر والقرح والكفاح المرير[٣]. فمن صبر على تحمل الشدائد في طريق الله، ولم يظهر الجزع والعجز والهلع فإن الله يحبه، ومحبة الله للعبد عبارة عن إرادة إكرامه وإعزازه وتعظيمه، والحكم له بالثواب والجنة، وذلك نهاية المطلوب[٤]. ثم انه تعالى اتبع ذلك بإن مدحهم بصفات الثبوت[٥] فقال: ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[٦].

سابعاً/ ما يستفاد من الآية

١. إن الله ﷻ يجيب ويعطي نصره في الدنيا والآخرة لعباده المخلصين التائبين الصادقين الناصرين لدينه، الثابتين عند لقاء عدوه بوعده الحق.

٢. على الإنسان ان يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه، ولا يقول أختار كذا، فان الله تعالى قد إختار لنبيه وأوليائه وعَلَّمهم كيف يدعون.

٣. إن النصر في كل موقعة ليس هو السنة الكونية كما يعتقدها البعض، فقد تكون الهزيمة تربية وابتلاء وتصحيحا لتصور الأتباع.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٩/ ٢٤، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/١١٨– ١١٩، وتفسير الشعراوي: ٣/ ١٨٠٦.

(٢) تفسير الشعراوي: ٣/ ١٨٠٦– ١٨٠٧.

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب: ١/٩٨.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: لابن عطية: ١/٥٢١، والتفسير الكبير: للرازي: ٩/ ٢٤، ونظم الدرر: للبقاعي: ٢/١٦٣، وروح المعاني: للآلوسي: ٢/٢٩٧، وتفسير الشعراوي: ٣/١٨٠٨.

(٥) التفسير الكبير: للرازي: ٩/٢٥.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

Issn:2071-6028

المطلب الثالث

شأن الذي لا يحكم بكتاب الله

قال تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(١).

أولاً/ تحليل الألفاظ

١. قوله تعالى: ﴿هُدىً﴾.

((هدى)): الهاء، والدال، والحرف المعتل، أصلان: احدهما التقدم للإرشاد، والآخر بعتة لطف(٢). فالأول قولهم: هدَيتُه الطريق هِدايةً، أي تقدمتُه لأرشده: وكل متقدمٍ لذلك هاد. والأصل الآخر: الهَديَة: ما أهْدَيْت من لطف إلى ذي مَوَّدة، يقال: أهْدَيتُ أُهدي إهداءً، وَالمِهْدَى: الطبق تهدى عليه. والهدى: إخراج الشيء إلى شيء، والهدى أيضاً الطاعة والورع، والطريق يسمى هدى: وفلان لا يهدي الطريق ولا يهتدَي ولا يهدي، وذهب على هديته، أي على قصده في الكلام وغيره(٣). والهدى: نقيض الضلالة، وهو الرشاد. هُدِي فأهتَدى(٤). والهادي: من أسماء الله تعالى. والمهدي: الذي قد هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، انه يجيء في آخر الزمان(٥). والهادي: الدليل لأنه يتقدم القوم ويتبعونه. والجمع: الهوادي(٦). والإهتداء: يختص بما يتحراه الإنسان على طريق

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٦٠٣/٢ (مادة هدى).

(٣) العين: للفراهيدي: ١٠٠٧، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٦٠٣/٢، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٥١٩، والمصباح المنير: للفيومي: ٦٣٦/٢، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٣٥١، ولسان العرب: لابن منظور: ٦١/٩ (مادة هدى).

(٤) العين: للفراهيدي: ١٠٠٨، وغريب القرآن: للسجستاني: ٢١١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٣٥١، ولسان العرب: لابن منظور: ٩/ ٦١ (مادة هدى).

(٥) لسان العرب: لابن منظور: ٩/ ٥٩ (مادة هدى).

(٦) العين: للفراهيدي: ١٠٠٨، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٣٥١، ولسان العرب: لابن منظور: ٦٢/٩ (مادة هدى).

Issn:2071-6028

الاختيار، إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية[١]. وقد ذكر العلماء ان للهدى سبعة عشر وجها[٢]، لا يسعها هذا البحث.

٢. قوله تعالى: ﴿**هَادُوا**﴾.

((هود)): الهاء، والواو،والدال، أصل يدل على إرواد وسكون[٣]. والهَوْدَ: التوبة. يقال: هادَ يهُوُدُ هَوْداً وتَهَوَّد: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد، قال تعالى: ﴿**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**﴾[٤]. أي تبنا إليك[٥]. فالهود: الرجوع برفق ومنه التهويد: وهو مشي كالدبيب وصار الهَوْد في التعارف التوبة. ويقولون: هَوَّد، إذا نام، وَهَوَّد الشراب نَفَسَ الشارب، إذا خثرت له نفسه[٦]. وهُودٌ في الأصل جمع هائد، أي تائب، وهو اسم نبي عربي، ولهذا لا ينصرف[٧]. واليهود من هاد يهُودُ، إذا تاب، هَوْداً، وسموا به لأنهم تابوا عن عبادة العجل[٨]. ويقال نسبوا إلى يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب عليه السلام، وحولت الذال إلى الدال حين عربت[٩]. ويجمع يهود على يُهدان[١٠]. وهوده: حوله إلى ملة اليهود، وَتَهَّودَ: صار يهودياً[١١]. وهاد: إذا رجع من خير إلى شر، أو من شر إلى خير، وهاد إذا غفل.

---

(١) المفردات: للراغب الأصفهاني: ٥١٩ (مادة هدى).

(٢) نزهة الأعين النواظر: لابن الجوزي: ٦٢٥، وأصلاح الوجوه والنظائر: للدامغاني: ٤٧، والوجوه والنظائر: لهارون بن موسى: ٢٨– ٣٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٩٢/٢ (مادة هود).

(٤) سورة الأعراف: من الآية ١٥٦.

(٥) العين: للفراهيدي: ١٠٢٤، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٩٣/٢، وغريب القرآن: للسجستاني: ٢٥٩، والمصباح المنير: للفيومي: ٦٤٢/٢، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٣٥٣، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٥٢٤، ولسان العرب: لابن منظور: ١٥٧/٩ (مادة هود).

(٦) العين: للفراهيدي: ١٠٢٤، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٩٣/٢ (مادة هود).

(٧)المصباح المنير :للفيومي:٦٤٢/٢، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٥٢٤، ولسان العرب:لابن منظور: ١٥٩/٩ (مادة هود).

(٨)العين: للفراهيدي: ١٠٢٤، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٩٣/٢، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٥٢٤ (مادة هود).

(٩)العين: للفراهيدي: ١٠٢٤، والمصباح المنير: للفيومي: ٦٤٢، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٣٥٣، ولسان العرب: لابن منظور: ٩/ ١٥٨ (مادة هود).

(١٠)القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٣٥٣ (مادة هود).

(١١) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٣٥٣، ولسان العرب: لابن منظور: ١٥٨/٩ (مادة هود)

Issn:2071-6028

ويهود إسم للقبيلة. وجمع اليهودي يَهُود، كما يقال في المجوسي مجوس، وفي العجمي والعربي عجم وعرب[١].

٣. قوله تعالى: ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾.

((حبر)): الحاء، والباء، والراء، أصل منقاس مطرد[٢]. والحَبَرُ والحَبارُ: أثر الشيء. والحِبْر والسَّبْر: الجمال والبهاء، بالفتح والكسر. والحِبْر: المداد[٣]. والحِبْرُ: الذي يكتب به وموضعه المِحبَرةُ بالكسر[٤]. وللذي يكتب بالحبر حِبرٌ وحَبْرُ[٥]. والتحبير: حسن الخط، وحبرت الكلام والشعر تحبيراً أي: (حسنه)[٦]. وفي حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: ((لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيراً))[٧]، يريد تحسين الصوت[٨]. والحِبْرُ والحَبْرُ: بالكسر والفتح، هو العالم ذمياً كان أو مسلماً، بعد ان يكون من أهل الكتاب. وسأل عبد الله بن سلام كعباً عن الحَبْر فقال: هو الرجل الصالح، وجمعه أحبارٌ وحُبورُ. لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس، ومن آثار أفعالهم الحسن المقتدى بها[٩]. وإلى هذا المعنى أشار سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: (العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانُهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة)[١٠]، وكان يقال لعبد الله بن عباس ﷺ الحَبْرُ والبَحرُ لعلمه[١١].

---

(١) لسان العرب: لابن منظور: ١٥٨/٩ (مادة هود).

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٣٠/١ (مادة حبر).

(٣) العين: للفراهيدي: ١٦٧، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٣٠/١، والمصباح المنير: للفيومي: ١١٧/١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٣٩٥، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١١٣، ولسان العرب: لابن منظور: ٢/ ٢٩٠ (مادة حبر).

(٤) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٣٠/١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٣٩٥، ولسان العرب: لابن منظور: ٢/ ٢٩٠ (مادة حبر).

(٥) لسان العرب: لابن منظور: ٢/ ٢٩٠ (مادة حبر).

(٦) العين: للفراهيدي: ١٦٧، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١/ ٣٣٠، والمصباح المنير: للفيومي: ١١٧/١، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١١٣، ولسان العرب: لابن منظور: ٢/ ٢٩١ (مادة حبر).

(٧) مسند الإمام البزار: ٨/ ١٨٣.

(٨) لسان العرب: لابن منظور:٢/٢٩٠ (مادة حبر).

(٩) العين: للفراهيدي: ١٦٧، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٣٠/٢، والمصباح المنير: للفيومي: ١/ ١١٧، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٣٩٥، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١١٣، ولسان العرب: لابن منظور: ٢/٢٩٠ (مادة حبر).

(١٠) المفردات: للراغب الأصفهاني: ١١٣ (مادة حبر).

(١١) لسان العرب: لابن منظور: ٢٩١/٢ (مادة حبر).

Issn:2071-6028

٤. قوله تعالى: ﴿**فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾.

((خشى)): الخاء، والشين، والحرف المعتل، يدل على خوف وذعر، ثم يحمل على المجاز[١]. والخشيةُ: الخوُف، والفعلُ: خشيَ يخشى. يقال: خَشيهُ يخشاه خشْياً وخَشْيَه وخَشاه ومَخشاةًومَخْشيةً وخشيانا وتخشَّاه كلاهما خافهُ، وهو خاشٍ وخشٍ وخَشيانُ، والأنثى خَشْيا، وجمعهما معا خشايا. مثل: غضبان وغضبى، وجمعهما معاً خشايَا. وربما قيل: خَشِيتُ بمعنى: عَلِمتُ[٢]. والخشية كما يقول الراغب: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه[٣].

٥. قوله تعالى: ﴿**تَشْتَرُوا**﴾.

((شرى)): الشين، والراء، والحرف المعتل، أصول ثلاثة، احدها يدل على تعارض من الاثنين في أمرين أخذاً وإعطاءً مماثلةً، والآخر نبتُ، والثالث هيج في الشيء وعلُوّ[٤]. يقال: شرى الشيء يَشْريه يشرًى وشِراءً واشْتَراه سواء، وشراه واشترْاهُ: باعه[٥]. والشراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن، والبائعُ دافع المثمن وآخذ الثمن، هذا إذا كانت المبايعة والمشارة بناضٍ وسلعةٍ. فأما إذا كانت بيع سلعة بسلعةٍ صح ان يتصور كل واحدٍ منهما مشترياً وبائعاً، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر. وشريت بمعنى بعت أكثر، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر[٦].

ثانياً/ سبب النزول

قال الزهري: حدثني رجل من مزينة ونحن عند سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ قال: ((زنى رجل من اليهود بإمرأة، فقال بعضهم لبعضٍ: إذهبوا بنا إلى هذا النبي، فانه نبيٌ بعث بتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها، واحتججنا بها عند الله، وقلنا: فتيا نبي من أنبيائك، قال: فأتوا

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١/ ٣٦١ (مادة خشى).

(٢) العين: للفراهيدي: ٢٤٧، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٦١/١، والمصباح المنير: للفيومي: ١٧٠/١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٢٨٧، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ١٥٥، ولسان العرب: لابن منظور: ١٠٦/٣ (مادة خشي).

(٣) المفردات: ١٥٥ (مادة خشي).

(٤) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٦٥٠/١ (مادة شرى).

(٥) العين: للفراهيدي: ٤٧٧، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٦٥١/١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٣٠٦، ولسان العرب: لابن منظور: ٥/ ٩٩ (مادة شرى).

(٦) المفردات: للراغب الأصفهاني: ٢٦٣ (مادة شرى).

Issn:2071-6028

النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول في رجل وإمرأة منهم زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة، حتى أتى بيت المِدْراس، فقام على الباب، فقال: أَنْشُدُكُمْ بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما تجدون في التوراة على مَنْ زنى إذا أُحصِنَ؟ قالوا: يحمم ويجبه ويجلد. وسكت شاب، فلما رآه سكت ألظ به النِّشدة، فقال: اللهم إذ نَشَدْتنا، فإنا نجد في التوراة الرجم، فقال النبي ﷺ: فما أولُ ما أرتُخِص أمْرُ الله؟ قال: زنى رجل ذي قرابة من ملك من ملوكنا، فأخر عنه الرجم، ثم زنى رجل في أسرة من الناس، فأراد رجمه، فحال قومه دونه، وقالوا: لا ترجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فأصطلحوا على هذهِ العقوبة بينهم، قال النبي ﷺ: فإني احْكُم بما في التوراة، فأمر بهما فرجما. قال الزهري: فبلغنا ان هذه الآية نزلت فيهم ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[1] فكان النبي ﷺ منهم))[2].

ثالثاً/ المناسبة

لما ذكر تعالى قصة ابن آدم وإقدام الأخ على قتل أخيه بسبب البغي والحسد وذكر أحكام الحرابة والسرقة، أعقبه بذكر أمر المنافقين وأمر اليهود في صدهم للنبي ﷺ وتربصهم به وبأصحابه الدوائر، وأمر رسوله ﷺ ألا يحزن لما يناله من أذى من أعداء الإنسانية، فالله سيعصمه من شرهم، وينجيه من مكرهم، ثم ذكر ما انزل الله من أحكام نورانية في شريعة التوراة[3].

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٤٤.

(٢) سنن أبي داود: ٤/ ١٥٥(باب في رجم اليهوديين)،وينظر:جامع البيان: للطبري: ٦/ ٢٤٩، وأسباب النزول: للواحدي: ٣٤٤– ٣٤٥،والكشاف: للزمخشري: ٢٩٠– ٢٩١، والمحرر الوجيز: لابن عطية: ٢/ ١٩٠، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٦/ ١١٥– ١١٦، وزاد المسير: لابن الجوزي: ٢/ ٢٠٩– ٢١٠، والتفسير الكبير: للرازي: ١١/ ٢٠٠،وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٢/ ٥٨، ونظم الدرر: للبقاعي: ٢/٤٦١، ولباب النقول:للسيوطي: ٩١– ٩٢،وروح المعاني:للآلوسي:٣/ ٣٠٧، والتحرير والتنوير:لابن عاشور: ٦/ ١٩٥،وصفوة التفاسير:للصابوني:١/ ٣١٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ١٢/ ٣– ٥، ونظم الدرر: للبقاعي: ٢/ ٤٥٩– ٤٦٠، وصفوة التفاسير: للصابوني: ١/٣١٤.

Issn:2071-6028

رابعاً/ القراءات

١. قوله تعالى: ﴿**التَّوْرَاةَ**﴾، فقد قرأ نافع وحمزة وقالون بالإمالة تقليلاً، وقرأ أبو عمرو والكسائي وابن ذكوان بالإضجاع(١).
٢. قوله تعالى: ﴿**هُدىً**﴾، فقد قرأ حمزة والكسائي وورش بالإمالة وقفاً(٢).
٣. قوله تعالى: ﴿**النَّاسَ**﴾، فقد قرأ الدّوري بالإمالة(٣).
٤. قوله تعالى: ﴿**وَاخْشَوْنِ**﴾، فقد قرأ أبو عمرو وأبو جعفر (واخشوني) وصلاً(٤).

خامساً/ الأوجه البلاغية

١. الاستعارة(٥): وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ**﴾، حيث وصف التوراة بالنزول ليدل على إنها وحي من الله، فأستعير النزول لبلوغ الوحي، لأنه بلوغ شيء من لدن عظيم، والعظيم يتخيل عالياً، والنور استعارة للبيان والحق، ولذلك عطف على الهدى، فأحكامها هادية وواضحة(٦).
٢. الإظهار في مقام الإضمار(٧): وذلك في قوله تعالى: ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**﴾، وكتاب الله هو التوراة، ليتأتى التعريف بالإضافة المفسرة لتشريف التوراة وتمجيدها بإضافتها إلى اسم الله تعالى(٨).

---

(١) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ٢٠٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.
(٣) ينظر المصدر نفسه.
(٤) ينظر: السبعة في القراءات: لابن مجاهد: ٢٤٤، والكشف عن وجوه القراءات: للقيسي: ٤٢٤، والتيسير: للداني: ١٠١، والحجة في القراءات: لابن خالويه: ١٣٠، ومجمع البيان: للطبرسي: ١٩٧/٢، وأتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ٢٠٠.
(٥) الاستعارة: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. ينظر: معترك الأقران: للسيوطي: ١/ ٢٠٨.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٦/ ٢٠٧.
(٧) الإظهار: عد الصرفيين والقراء هو خلاف الإدغام، أي فكه وتركه. وسمي بالبيان أيضاً. وعند البلغاء: هو ان يقال شعر على نحو، فيضمر احدهم من ذلك الشعر بعض الحروف، ثم يسأله آخر عن ذلك الذي أضمره في مصارع البيت الأول والثاني، وهكذا هل يوجد أم لا؟ فيخير مع الإيجاب أو النفي على القاعدة المقررة بينهما. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للتهانوي: ٢٢٢/١. والإضمار: الإخفاء، وأضمرت الشيء أخفيته. ويقال: مضمر وإضمار. وهو ترك الشيء مع بقاء أثره. ينظر: التعريفات: للجرجاني: ٢٣.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٦/ ٢٠٩.

Issn:2071-6028

٣. التفريع[١]: وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾، المتفرعة بالفاء على قوله تعالى[٢]: ﴿**وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾[٣].

سادساً/ الإعراب

١. قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ**﴾، ﴿**إِنَّا**﴾: (إن) واسمها، (إن): حرف توكيد ونصب، تنصب الاسم وترفع الخبر، و(نا) المدغمة: ضمير متصل في محل نصب اسمها، ﴿**أَنْزَلْنَا**﴾: فعل وفاعل، ﴿**التَّوْرَاةَ**﴾: مفعول به، ﴿**فِيهَا**﴾: جار ومجرور خبر مقدم، ﴿**هُدىً**﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب على الحال من ﴿**التَّوْرَاةَ**﴾، ﴿**وَنُورٌ**﴾: الواو حرف عطف، (نور) معطوف على ﴿**هُدىً**﴾ وعلامة رفعه ضم آخرة[٤].

٢. قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا**﴾، ﴿**النَّبِيُّونَ**﴾: فاعل، ﴿**الَّذِينَ**﴾: اسم موصول في محل رفع صفة لـ ﴿**النَّبِيُّونَ**﴾، ﴿**أَسْلَمُوا**﴾: فعل وفاعل، صلة الموصول لا محل لها من الإعراب[٥].

٣. قوله تعالى: ﴿**وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ**﴾: معطوف على ﴿**النَّبِيُّونَ**﴾[٦].

٤. قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾، الواو: حرف عطف، (من): اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ تجزم فعلين، الأول: فعل الشرط، والثاني: جوابه، ﴿**لَمْ يَحْكُمْ**﴾: جازم ومجزوم، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره (هو)، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ، ﴿**بِمَا**﴾: جار ومجرور، و(ما): اسم موصول بمعنى الذي في محل جر، ﴿**أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب[٧].

---

(١)التفريع:هو ان يثبت حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر .ينظر:جواهرالبلاغة:لأحمد الهاشمي: ٤٠٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور:٦/ ٢١٠.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٤٤.

(٤) ينظر: إعراب القرآن: للنحاس: ٢٦٩/١، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ٢٩٦، والبرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٣/ ٥٢– ٥٣.

(٥) ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٥٣/٣.

(٦) ينظر: إعراب القرآن: للنحاس: ٢٦٩/١، والتبيان في إعراب القرآن: للعكبري: ٢٩٦، والبرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٥٣/٣.

(٧) ينظر: إعراب القرآن: للنحاس: ٢٦٩/١، والبرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٥٤/٣.

Issn:2071-6028

٥. قوله تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، (أولئك): اسم إشارة في محل رفع مبتدأ أول، ﴿**هُمُ**﴾: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثان، ﴿**الْكَافِرُونَ**﴾: خبر المبتدأ الثاني، وجملة المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر المبتدأ الأول(١).

سابعاً/ المعنى العام

لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة واقعية. وجاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية، وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها، ولم يجيء دين من عند الله ليكون مجرد عقيدة في الضمير، ولا ليكون كذلك مجرد شعائر تعبدية تؤدى في الهيكل والمحراب. فهذهِ وتلك – على ضرورتهما للحياة البشرية وأهميتها في تربية الضمير البشري– لا يكفيان وحدهما لقيادة الحياة وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها، مالم يقم على أساسهما منهج ونظام وشريعة تطبق عمليا في حياة الناس، ويؤخذ الناس بها بحكم القانون والسلطان، ويؤاخذ الناس على مخالفتها، ويؤخذون بالعقوبات، والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد، يملك السلطان على الضمائر والسرائر، كما يملك السلطان على الحركة والسلوك. ويجزي الناس وفق شرائعه في الحياة الدنيا، كما يجزيهم وفق حسابه في الحياة الآخرة(٢). قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ**﴾، فالتوراة – كما انزلها الله– كتاب الله الذي جاء لهداية بني إسرائيل، وإنارة طريقهم إلى الله، وطريقهم في الحياة. وقد جاءت تحمل عقيدة التوحيد، وتحمل شعائر تعبدية شتى، فالهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والتكاليف. فقوله تعالى: ﴿**فِيهَا هُدىً**﴾، أي بيان الحكم الذي جاءوا يستفتون فيه النبي ﴿ﷺ**وَنُورٌ**﴾، أي بيان وضياء وتعريف أن محمد ﷺ حق(٣). ﴿**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا**﴾، يريد النبيين الذين كانوا بعد موسى عليه السلام، وذلك ان الله تعالى بعث في بني إسرائيل ألوفاً من الأنبياء ليس معهم كتاب، إنما بعثهم بإقامة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرائضها ويحلو حلالها ويحرموا حرامها(٤). فالمراد بـ﴿**الَّذِينَ أَسْلَمُوا**﴾ الذين كان شرعهم الخاص بهم كشرع الإسلام سواء، لأنهم كانوا مخصوصين بأحكام غير أحكام

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٢/ ٧٣٦– ٧٣٧.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٦/ ١٢٣، والتفسير الكبير: للرازي: ١٢/ ٣، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٦/ ٢٠٧، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ٢/ ٧٣٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٦/ ١٢٣، وزاد المسير: لابن الجوزي: ٢/ ٢١٤– ٢١٥، والتفسير الكبير: للرازي: ١٢/ ١٢٣، وروح المعاني: للآلوسي: ٣/ ٣١١، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٦/٢٠٨.

Issn:2071-6028

عموم أمتهم، بل هي مماثلة للإسلام، وهي الحنيفية الحق، إذ لاشك ان الأنبياء كانوا على أكمل حال من العبادة والمعاملة. ألا ترى أن الخمر ما كانت محرمة في شريعة قبل الإسلام، ومع ذلك ما شربها الأنبياء قط، بل حرمتها التوراة على كاهن بني إسرائيل فما ظنك بالنبي. ولعل هذا المراد من وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه بقوله: ﴿**فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾(١). وقد قال يوسف عليه السلام في دعائه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٢)، فالمقصود من الوصف بقوله:﴿**الَّذِينَ أَسْلَمُوا**﴾ على هذا الوجه الإشارة إلى شرف الإسلام وفضله إذ كان دين الأنبياء(٣). ويجوز ان يراد بالنبيين محمد ﷺ، وعبر عنه بصيغة الجمع تعظيماً له(٤).

يقول الإمام الشعراوي: (فالنبيون عندما يصفهم الحق بأنهم اسلموا، إنما يريد الحق ان يشرف الإسلام بإن النبيين أسلموا قيادتهم وزمامهم إلى الله، لأنهم وجدوه الخير لهم. وإسلام النبيين هو الإسلام بمعناه الكامل، أي هو الانصياع لأوامر الله، فكلما فكر نبي منهم في أن هناك شراً سيأتي له بسبب دعوته، أو أن يضطهده أحد، أو يحلو لأحد أن يسيء إليه فهو يسلم أمره لله، لإن الرسول منهم يقول كلمة الحق ولا يبالي بما يحدث بعدها)(٥).

والذين هادوا هم اليهود، وهو اسم يرادف معنى الإسرائيلين، والمعنى أن النبيين إنما يحكمون بالتوراة للذين هادوا، أي لأجلهم وفيما بينهم(٦). وقوله تعالى: ﴿**وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾. فالربانيون جمع رباني وهو العالم المنسوب إلى الرب، أي إلى الله تعالى، فعلى هذا يكون الرباني نسباً للرب على غير قياس. وقيل: الرباني العالم المربي، وهو الذي يبتدئ الناس بصغار العلم قبل كباره. ووقع هذا التفسير في صحيح البخاري.

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٣٢.

(٢) سورة يوسف: من الآية ١٠١.

(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٦/ ٢٠٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٦/ ١٢٣، والتفسير الكبير: للرازي: ٣/١٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٠٨/٦.

(٥) تفسير الشعراوي: ٣١٥٧/٥.

(٦) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢٤٩/٦، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٣/٦، والتفسير الكبير: للرازي: ٤/١٢، ونظم الدرر: للبقاعي: ٤٥٩/٢، وروح المعاني: للآلوسي: ٣١٢/٣، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٠٨/٦.

Issn:2071-6028

والأحبار جمع حَبْر، وهو العالم في الملة الإسرائيلية. وعطف ﴿**وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ**﴾ على ﴿**النَّبِيُّونَ**﴾لأنهم ورثة علمهم وعليهم تلقوا الدين(١).

والاستحفاظ: الاستئمان. واستحفاظ الكتاب أمانة فهمه حق الفهم بما دلت عليه آياته. وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه بان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بألسنتهم، وان لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه. ويدخل في الاستحفاظ بالكتاب الأمر بحفظ ألفاظه من التغيير والكتمان(٢).

يقول الإمام الشعراوي: (إنما قال الحق سبحانه: ﴿**اسْتُحْفِظُوا**﴾ ولم يقل حفظوا ليبين لنا الفارق بين كل كتاب سابق للقرآن وبين القرآن، لأننا عرفنا ان كل رسول قد جاء بمعجزة تدل على انه صادق البلاغ عن الله، ولكل الرسل من السابقين على رسول الله معجزة منفصلة عن المنهج، مثال ذلك سيدنا موسى عليه السلام، فمعجزته العصا وفلق البحر، أما منهجه فهو التوراة. وسيدنا عيسى عليه السلام معجزته إبراء الأكمه والأبرص، والمنهج الذي جاء به هو الإنجيل. أما سيدنا رسول الله ﷺ فمعجزته هي عين منهجه، وهي القرآن. وكان الأمر الموجود بالنسبة لكل رسول مرتبطاً بزمانه وجماعته ومحتاجاً إلى معجزة مناسبة ومنهج مناسب، لكن الرسول الذي أرسله الله إلى الناس جميعاً وخاتماً للأنبياء لابد أن تظل معجزته عين منهجه بحيث يستطيع أي مسلم ان يقول حتى قيام الساعة: محمد رسول الله وهذهِ معجزته وهي عين منهجه. وسيظل القرآن معجزة ظاهرة إلى ان تقوم الساعة، لان الله أرادها مختلفة عن بقية المناهج والمعجزات. فالمعجزات السابقة كانت كعود الثقاب الذي يشعل مرة واحدة. فمن رآه لحظة الاشتعال فالأمر بالنسبة إليه واضح، أما من لم يره فهو لن يصدق تلك المعجزة إلا أن يخبره من يصدقه. وقد استحفظ الله الربانيين والأحبار بالتوراة، أي طلب منهم ان يحفظوها، وكان هذا أمراً تكليفياً، والآمر التكليفي عرضة لان يطاع وعرضة لان يُعصى، واستحفظهم الله التوراة والإنجيل: ﴿**فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾(٣)، وصار أمر المنهج منسياً. وليس على بالهم كثيراً، لان الأمر اذا توارد على البال واستقر دائماً في بؤرة الشعور يظل في الذهن، لكن النسيان يأتي عندما يكون الأمر بعيداً عن البال. والحق طلب منهم ان يحفظوا المنهج ولكنهم – ما عدا النبيين– لم ينفذوا، وكل أمر تكليفي يدخل في دائرة الاختيار، ولذلك نجد أن الأحبار والربانيين قد نسوا، ومالم ينسوه كتموه. وأول مرحلة من مراحل عدم الحفظ أنهم نسوا، والمرحلة الثانية هي كتمان مالم ينسوه، والثالثة هي مالم يكتموه حرفوه

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٣/٦، والتفسير الكبير: للرازي: ٤/١٢، وروح المعاني: للآلوسي: ٣١٢/٣، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٠٨/٦– ٢٠٩.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٤/١٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٠٩/٦– ٢١٠.

(٣) سورة المائدة: من الآية ١٤.

Issn:2071-6028

ولووا به ألسنتهم، ويا ليتهم اقتصروا على هذهِ المراحل فقط، ولكنهم جاءوا بأشياء وقالوا هي من عند الله، وهي ليست من عند الله: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾(١)، إذن فالحفظ منهم لم يتم، لذلك لم يدع الله القرآن للحفظ بطريق التكليف، لأنه سبحانه اختبر البشر من قبل، ولأنه أراد القرآن معجزة باقية، لذلك لم يكل الله سبحانه أمر حفظه إلى الخلق، ولكنه تكفل – سبحانه– بأمر حفظ القرآن(٢): ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿**وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾، أي هؤلاء النبيون والربانيون والأحبار كانوا شهداء على ان كل ما في التوراة حق وصدق ومن عند الله، فلا جرم كانوا يمضون أحكام التوراة ويحفظونها عن التحريف والتغيير(٤). ولذلك عقبه بجملة ﴿**فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾، لأنه تعالى لما قرر ان النبيين والربانيين والأحبار كانوا قائمين بإمضاء أحكام التوراة من غير مبالاة، خاطب اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ، ومنعهم من التحريف والتغيير. وان إقدام القوم على التحريف لابد وأن يكون لخوف ورهبة، أو لطمع ورغبة، ولما كان الخوف أقوى تأثيراً من الطمع قدم تعالى ذكره فقال: ﴿**فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾، والخشية خوف متوهم ممن تظن انه قادر على الضر، ولا احد غير الله قادر على النفع والضر، لذلك لا يصح ان يخاف الإنسان من سواه، أما أن تظن ان السلطان أو القريب منه قادر على الضر، فهذا أمر غير صحيح، وليخش كل إنسان الحق سبحانه، وهو جل وعلا نصحنا ان تكون الخشية منه دون سواه(٥). والمعنى إياكم وان تحرفوا كتابي للخوف من الناس والملوك والأشراف، فتسقطوا عنهم الحدود الواجبة عليهم وتستخرجوا الحيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم، فلا تكونوا خائفين من الناس، بل كونوا خائفين مني ومن عقابي. إذ الحفيظ على الشيء الأمين حق الأمانة لا يخشى أحداً في القيام بوجه أمانته، ولكنه يخشى الذي استأمنه(٦).

ولما ذكر الحق سبحانه أمر الرهبة أتبعه بأمر الرغبة، لأنه يعلم ان بعض المستحفظين على كتاب الله المستشهدين، قد تراودهم أطماع الحياة الدنيا، وهم يجدون أصحاب السلطان، وأصحاب المال، وأصحاب الشهوات، لا يريدون حكم الله، فيملقون شهوات هؤلاء جميعاً، طمعاً في عرض

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٧٩.

(٢) تفسير الشعراوي: ٥/ ٣١٥٩– ٣١٦٠.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٤/١٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٦/ ٢٠٩– ٢١٠.

(٥) تفسير الشعراوي: ٦/ ٣١٦٠– ٣١٦١

(٦) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢٥١/٦، والتفسير الكبير: للرازي: ٥/١٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢١٠/٦، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ٧٣٩/٢، وتفسير الشعراوي: ٣١٦٢/٥.

Issn:2071-6028

الحياة الدنيا، كما يقع من رجال الدين المحترفين في كل زمان وفي كل قبيل، وكما كان ذلك واقعاً في علماء بني إسرائيل فناداهم الله: ﴿**وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً**﴾، وذلك لقاء السكوت، أو لقاء التحريف، أو لقاء الفتاوى المدخولة. وكل ثمن هو في حقيقته قليل. ولو كان ملك الحياة الدنيا .. فكيف وهو لا يزيد على ان يكون رواتب ووظائف وألقاباً ومصالح صغيرة، يباع بها الدين، وتشترى بها جهنم على يقين. انه ليس أشنع من خيانة المستأمن، وليس أبشع من تفريط المستحفظ، وليس أخس من تدليس المستشهد. والذين يحملون عنوان (رجال الدين) يخونون ويفرطون ويدلسون، فيسكتون عن العمل لتحكيم ما أنزل الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، لموافاة أهواء ذوي السلطان على حساب كتاب الله[1]. ثم إنه اتبع هذا البرهان الباهر بالوعيد الشديد فقال: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، والمقصود من هذا الكلام تهديد اليهود في إقدامهم على تحريف حكم الله تعالى في حد الزاني المحصن، يعني أنهم لما أنكروا حكم الله المنصوص عليه في التوراة وقالوا: إنه غير واجب، فهم كافرون على الإطلاق، لا يستحقون اسم الإيمان لا بموسى عليه السلام والتوراة ولا بمحمد ﷺ والقرآن. وقد عرف اليهود بكثرة مخالفة حكّامهم لأحكام كتابهم بناء على تغييرهم إياها باعتقاد عدم مناسبتها لأحوالهم كما فعلوا في حد الزنا. فوصفهم الله بأنهم كافرون بما جحدوا من شريعتهم المعلومة عندهم، والمعنى أنهم اتصفوا بالكفر من قبل، فإذا لم يحكموا بما انزل الله فذلك من آثار كفرهم السابق. فالمقصود اليهود وتحذير المسلمين من مثل صنيعهم[2].

ثامناً/ ما يستفاد من الآية

١. إن العلم أكمل أقسام الفضيلة والجمال والمنقبة لا جرم سمي العالم به.
٢. تنبيه الله تعالى لليهود المنكرين لوجوب الرجم، وترغيب لهم في ان يكونوا كمتقدميهم من مسلمي أحبارهم والأنبياء المبعوثين إليهم.
٣. إن الحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا كانت عقيدتها وشعائرها وشرائعها منبثقة من مصدر واحد، يملك السلطان على الضمائر والسرائر.

---

(١) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢٥١/٦، والكشاف: للزمخشري: ٢٩٢، والمحرر الوجيز: لابن عطية: ١٩٦/٢، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٣/٦، والتفسير الكبير: للرازي: ٥/١٢، وروح المعاني: للآلوسي: ٣١٣/٣، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ٧٤٠/٢، وتفسير الشعراوي: ٣١٦٢/٦.

(٢) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢٥٧/٦، والكشاف: للزمخشري: ٢٩٢، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٤/٦، والتفسير الكبير: للرازي: ٥/١٢-٦، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢١٠/٦- ٢١١.

Issn:2071-6028

المطلب الرابع

موقف القائمين على الشريعة وأمر العلم الديني من الإثم وأكل السحت

قال تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(١).

أولاً/ تحليل الألفاظ

١. قوله تعالى: ﴿**السُّحْتَ**﴾.

((سحت)): السين، والحاء، والتاء، أصلٌ صحيح منقاس(٢). يقال: سُحِت الشيء، إذا استؤصل، وأُسْحِت، يقال سحت الله الكافر بعذاب إذا أستأصله، ومال مسحوت، ومُسْحَتَ(٣). واسحتت تجارتُه: خَبُثَتْ وحَرُمَتْ. وسَحَتَ في تجارتِه، وأَسْحَتَ: اكتسب السُّحْتَ. والسُّحْتُ والسُّحُت: كل حرام قبيح الذكر، وقيل: هو ما خبث من المكاسب وحَرُم فلزِم عنه العار، وقبيح الذكر، كثمن الكلب والخمر والخنزير، والجمع اسحات، وإذا وقع الرجل فيها، قيل: قد أَسْحَتَ الرجلُ. والسُّحْتُ: الحرام الذي لا يحل كسبه، لأنه يَسْحَتُ البركة أي يُذْهِبُها(٤). والسُّحْتُ: الهدية أي الرشوة في الحكم والشهادة ونحوهما(٥).

٢. قوله تعالى: ﴿**يَصْنَعُونَ**﴾

((صنع)): الصاد، والنون، والعين، أصل صحيح واحد. وهو عمل الشيء(٦). يقال: صَنَعَه يَصْنَعُه صُنْعاً

فهو مَصْنوعٌ وصُنْعٌ(٧).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٩١/١ (مادة سحت).

(٣) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٩١/١، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٨٠، ولسان العرب: لابن منظور: ٥٠٧/٤ (مادة سحت).

(٤) العين: للفراهيدي: ٤١١، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٩١– ٥٩٢، والمصباح المنير: للفيومي: ٢٦٧، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ١٨٠، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٢٣١، ولسان العرب: لابن منظور: ٥٠٧/٤ (مادة سحت).

(٥) المفردات: للراغب الأصفهاني: ٢٣١، ولسان العرب: لابن منظور: ٥٠٧/٤ (مادة سحت).

(٦) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢٢/٢ (مادة صنع).

(٧) العين: للفراهيدي: ٥٣٢، ولسان العرب: لابن منظور: ٤٠٨/٥ (مادة صنع).

Issn:2071-6028

والصُّنّاع: الذين يعملون بأيديهم. تقول: صنعته فهو صناعتي[١].

والصنيعة: ما اصطنعت من خير إلى غيرك[٢]. والصنِّاعة: ما تَستَصْنع من أمرٍ، أو هي حرفة الصانع[٣]. والمصانع: ما يصنعه العباد من الأبنية والآبار والأشياء[٤]. والصُّنْعُ: إجادة الفعْل، فكل صُنْعٍ فعْلٌ وليسَ كل فِعل صُنْعاً. ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات، كما ينسب إليها الفعل[٥].

ثانياً/ المناسبة

لما حكى تعالى عن أهل الكتاب أنهم تركوا العمل بالتوراة والإنجيل، وحكم عليهم بالكفر والظلم والفسوق، حذر تعالى في هذهِ الآيات من موالاة اليهود والنصارى، ثم عدد جرائم اليهود وما اتهموا به الذات الإلهية المقدسة من شنيع الأقوال وقبيح الأفعال[٦].

ثالثاً/ القراءات

١. قوله تعالى: ﴿**يَنْهَاهُمُ**﴾، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف وورش بالإمالة[٧]. وقرأ الأزرق بالتقليل[٨].
٢. قوله تعالى: ﴿**الرَّبَّانِيُّونَ**﴾، فقد قرأ الجراح وأبو واقد (الرّبيُون)[٩].
٣. قوله تعالى: ﴿**قَوْلِهِمُ**﴾، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف (قولِهُمُ)، وقرأ أبو عمرو بن العلاء ويعقوب (قولِهِمِ)[١٠].

---

(١) العين: للفراهيدي: ٥٣٢، والمصباح المنير: للفيومي: ٣٤٨ (مادة صنع).
(٢) العين: للفراهيدي: ٥٣٣، والمفردات: للراغب الأصفهاني: ٢٩٠، والمصباح المنير: للفيومي: ٣٤٨/١، ولسان العرب: لابن منظور: ٤١١/٥ (مادة صنع).
(٣) القاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٧٥٧، ولسان العرب: لابن منظور: ٤١١/٥ (مادة صنع).
(٤) العين: للفراهيدي: ٥٣٣، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢٢/٢، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: ٧٥٨، ولسان العرب: ٤١٠/٥ (مادة صنع).
(٥) المفردات: للراغب الأصفهاني: ٢٩٠ (مادة صنع).
(٦) ينظر: نظم الدرر: للبقاعي: ٤٩٥/٢– ٤٩٦، وصفوة التفاسير: للصابوني: ٣١٩/١.
(٧) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ٢٠٤، واتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ٢٠١.
(٨) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ٢٠١.
(٩) ينظر: البحر المحيط: لأبي حيان: ٥٢٢/٣.
(١٠) ينظر: اتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ٢٠١.

Issn:2071-6028

٤. قوله تعالى: ﴿**وَأَكْلِهِمُ**﴾، فقد قرأ حمزة والكسائي (وأكلِهُمُ)(١). وقرأ أبو عمرو بن العلاء (وأكلِهِمِ)(٢).
٥. قوله تعالى: ﴿**السُّحْتَ**﴾، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (السُّحُت)(٣).
٦. قوله تعالى: ﴿**لَبِئْسَ**﴾، فقد قرأ ابن عباس (بئس)(٤).
٧. قوله تعالى: ﴿**يَصْنَعُونَ**﴾، فقد قرأ ابن عباس (يعملون)(٥).

رابعاً/ الأوجه البلاغية

١. التخصيص(٦): وذلك في قوله تعالى: ﴿**لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ**﴾، فمعنى (لولا) ها هنا التخصيص والتوبيخ، وهو بمعنى هلا، وفيها تخصيص لعلمائهم للنهي عن ذلك، فإن (لولا) إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ، وإذا دخل على المستقبل أفاد التخصيص(٧).
٢. الاستعارة التصريحية(٨): وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ**﴾، حيث استعير لأخذ السحت لفظ الأكل بجامع ما يؤول إليه الأخذ على سبيل الاستعارة التصريحية(٩).

خامساً/ الإعراب

١. قوله تعالى: ﴿**لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ**﴾: ﴿**لَوْلا**﴾: بمعنى (هلا)، ﴿**يَنْهَاهُمُ**﴾: فعل مضارع، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، ﴿**الرَّبَّانِيُّونَ**﴾:

---

(١) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ٢٠٤، واتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ٢٠١، والمحتسب: لابن جني: ٢١٥/١.
(٢) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ٢٠٤، وأتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: ٢٠١.
(٣) ينظر: غيث النفع: للصفاقسي: ٢٠٤.
(٤) ينظر: البحر المحيط: لأبي حيان: ٥٢٢/٣.
(٥) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢٩٨/٦.
(٦) التخصيص: هو قصر العام على بعض منه بدليل مستقل مقترن به. ينظر: التعريفات: للجرجاني: ٣٥.
(٧) ينظر: المحرر الوجيز: لابن عطية: ٢١٤/٢، وزاد المسير: لابن الجوزي: ٢٣٢/٢، والتفسير الكبير: للرازي: ٣٣/١٢، وروح المعاني: للآلوسي: ٣٤٥/٤، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٤٨/٦، وصفوة التفاسير: للصابوني: ٣٢٤/١.
(٨) الاستعارة التصريحية:وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.ينظر:البلاغةالواضحة:لعلي الجارم ومصطفى أمين: ٩٨.
(٩) ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: للأهدلي: ٧٣/٣.

Issn:2071-6028

فاعل، ﴿**وَالْأَحْبَارُ**﴾: معطوفة على ﴿**الرَّبَّانِيُّونَ**﴾،﴿**عَنْ قَوْلِهِمُ**﴾: جار ومجرور، ﴿**الإِثْمَ**﴾: مفعول به[١].

٢. قوله تعالى: ﴿**وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾: ﴿**وَأَكْلِهِمُ**﴾: معطوف على ﴿**الإِثْمَ**﴾، و(أكل): مصدر، وفاعله الهاء مضاف إليه، ﴿**السُّحْتَ**﴾: مفعول به، ﴿**لَبِئْسَ**﴾: اللام: داخله في جواب قسم مقدر تقديره (والله)، (بئس): فعل ماض من أفعال الذم، ﴿**مَا**﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول به، ﴿**كَانُوا**﴾: (كان): فعل ماض ناقص، وواو الجماعة اسمها، ﴿**يَصْنَعُونَ**﴾: فعل مضارع، وواو الجماعة فاعل، والجملة في محل نصب خبر (كان)[٢].

سادساً/ المعنى العام

تشير الآية إلى سمة أخرى من سمات المجتمعات الفاسدة، وهي تستنكر سكوت الربانيين القائمين على الشريعة، والأحبار القائمين على أمر العلم الديني.. سكوتهم على مسارعة القوم في الإثم والعدوان وأكل السحت، وعدم نهيهم عن هذا الشر الذي يتسابقون فيه[٣]، قال تعالى: ﴿**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[٤]، والمعنى: هلا ينهى هؤلاء الربانيون – وهم رؤساء النصارى– والأحبار – وهم رؤساء اليهود– الذين يسارعون في الإثم والعدوان، وأكل الرشا في الحكم من اليهود من بني إسرائيل، وهم أئمتهم المؤمنون، وساستهم العلماء بسياستهم وأخبارهم، وهم علماؤهم وقوادهم، عن قول الكذب والزور، وذلك أنهم كانوا يحكمون فيهم بغير حكم الله، ويكتبون كتباً بأيديهم، ثم يقولون هذا من حكم الله، وهذا من كتبه[٥]. فإن الله تعالى استبعد من علماء أهل الكتاب أنهم ما نهوا سفلتهم وعوامهم عن المعاصي، وذلك يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه، لأنه تعالى ذم الفريقين في هذه الآية على لفظ واحد. بل إن ذم تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه، لأنه تعالى ذم الفريقين في هذهِ الآية على لفظ واحد، بل ان ذم تارك النهي عن المنكر أقوى لإنه تعالى قال في المقدمين على الإثم والعدوان وأكل السحت:﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٦]، وقال في العلماء التاركين للنهي عن المنكر: ﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[٧]، والصنع أقوى من العمل، لان العمل

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣/٧٤.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.
(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٢/٧٩٠.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٣.
(٥) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٦/٢٩٨
(٦) سورة المائدة: من الآية ٦٢.
(٧) سورة المائدة: من الآية ٦٣.

Issn:2071-6028

إنما سمي صناعة إذا صار مستقراً راسخاً متمكناً، فجعل جرم العاملين ذنبا غير راسخ، وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنباً راسخاً[١].

وأما قوله: ﴿**وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ**﴾، فإنه يعني به الرشوة التي كانوا يأخذونها على حكمهم بغير كتاب الله لمن حكموا له به. ﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾، وهذا ذمٌ لصنيع هؤلاء الربانيون والأحبار في تركهم نهي الذين يسارعون منهم في الإثم والعدوان وأكل السحت، عما كانوا يفعلون من ذلك. واللام للقسم. يقول العلماء: ما في القرآن آية اشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها[٢].

يقول صاحب الظلال: (أما هنا فينحى باللائمة على الربانيين والأحبار، الساكتين على المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت، الذين لا يقومون بحق ما استحفظوا عليه من كتاب الله .. وإنه لصوت النذير لكل أهل دين. فصلاح المجتمع أو فساده رهن بقيام الحفظة على الشريعة والعلم فيه بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٣].

سابعاً/ ما يستفاد من الآية

١. إن لفظ الإثم يتناول جميع المعاصي والمنهيات، فلما ذكر الله تعالى بعده العدوان وأكل السحت دل هذا على أن هذين النوعين أعظم أنواع المعصية والإثم.

٢. إن تارك النهي عن المنكر، كمرتكب المنكر.

٣. إن العالم الرباني إذا ما رأى منكرا أو علم شرا فينبغي أن يكون سباقا في نهيه واستنكاره له.

(١) التفسير الكبير: للرازي: ٣٤/١٢.

(٢) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٩٨/٦، والمحرر الوجيز: لابن عطية: ٢١٤/٢، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٣/٦، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٤٨/٦.

(٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٧٩٠/٢.

Issn:2071-6028

الخاتمة

مما تقدم يمكن تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث، وهي كالآتي:

١. إن النبي يوقن أنه عبد، وأن الله وحده هو الرب، الذي يتجه إليه العباد بعبوديتهم وبعبادتهم، فما يمكن ان يدعي لنفسه صفة الإلوهية التي تقتضي من الناس العبودية.

٢. إن الربانيين حين يقولون ويتكلمون فإنهم يتصفون بخلق انزله رب يربي الناس ليبلغوا الغاية المقصودة منهم، فهم عندما ينقلون ما عندهم للناس يكونون مربين.

٣. إن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً، فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود، ضاع سعيه وخاب عمله، وكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء مونعة بمنظرها، ولا منفعة بثمرها.

٤. إن الرعب من نتائج الذنب، والثبات من ثمرات الطاعة، وان القتال هو لله، لا لحظ من حظوظ النفس أصلاً.

٥. إن الذي يحكم بالتوراة هم النبيون والربانيون والأحبار، وهذا يقتضي كون الربانيين أعلى حالاً من الأحبار، فثبت ان يكون الربانيون كالمجتهدين والأحبار كأحاد العلماء.

٦. إن سمة المجتمع الخير الفاضل القوي المتماسك ان يسود فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان يوجد فيه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وان يوجد فيه من يستمع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧. إن الهدى هو الطريق أو الدرب الموصل للغاية. وتأتي على الطريق أحقاب الليل والنهار، فالطريق مظلم ليلاً، وقد تعترض السائر فيه عقبات، أو قد لا يمشي السائر في سواء السبيل، لذا فالحق سبحانه قد أنار الدرب، وتمثل ذلك في المنهج الذي جاء به موكب الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

Issn:2071-6028

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: لأحمد بن محمد البناء الدمياطي الشافعي (ت١١١٧هـ)، تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢. أسباب نزول القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت٤٦٨هـ)، رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الارغياني (ت٥٢٩هـ)، دار الميمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣. أصلاح الوجوه والنظائر: لأبي عبد الله محمد بن علي الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت، ١٩٧٠م.

٤. إعراب القرآن: للإمام أبي جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل بن النحاس (ت٣٣٨هـ)، وضع حاشيته وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٥. البحر المحيط: لأبي حيان (ت٧٤٩هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٦. بديع القرآن: لابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.

٧. البرهان في إعراب آيات القرآن: لأحمد ميقري بن أحمد حسين شميلة الاهدلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٨. البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع: لعلي الجارم ومصطفى أمين مع أبيات منتقاة من الألفية في علوم البلاغة للإمام جلال الدين السيوطي، طبعة أعدها ووضع خلاصتها علي محمد زينو، دار قباء، (ب. ت).

٩. التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، مكتبة الإيمان، (ب. ت).

١٠. التعريفات: لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، (ب. ت).

١١. تفسير التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٢٨٤هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (ب. ت).

Issn:2071-6028

١٢. تفسير الشعراوي: للشيخ محمد متولي الشعراوي، طبعة دار الأخبار المصرية، (ب. ت).
١٣. تفسير القرآن العظيم: للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.
١٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي الشافعي (ت٦٠٦هـ)، قدم له: هاني الحاج، حققه وعلق عليه: عمار زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (ب.ت).
١٥. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
١٦. التيسير في القراءات السبع: للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، عني بتصحيحه: اوتوا برتزل، طبعة الدولة، استانبول، ١٩٣٠م.
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن: للإمام أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: لأحمد الهاشمي بك، مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة العاشرة، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م- ١٩٤٠م.
٢٠. الحجة في القراءات السبع: للإمام ابن خالويه (ت٢٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٢. زاد المسير في علم التفسير: للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، شرح آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: احمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٢٣. السبعة في القراءات: لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.

Issn:2071-6028

٢٤. سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الازدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (ب. ت).

٢٥. صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني، دار الجيل، بيروت، (ب. ت).

٢٦. غريب القرآن المسمى بـ(نزهة القلوب): للإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٧. غيث النفع في القراءات السبع: لعلي النوري الصفاقسي (ت١١٧٨هـ)، هامش سراج القارئ المبتدئ، طبع مصطفى الحلبي، (ب. ت).

٢٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٢٥هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ب. ت).

٢٩. في ظلال القرآن: لسيد قطب (ت١٩٦٦م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٣٠. القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، قدم له وعلق حواشيه: الشيخ أبو الوفا نصر الهوديني المصري الشافعي (ت١٢٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣١. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣٢. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للباحث العلامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: الدكتور رفيق العجم، تحقيق: الدكتور علي دحروج، الناشر مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٣٤. لباب النقول في أسباب النزول: للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٣٥. لسان العرب: للعلامة ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٣٦. مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار الفكر ودار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م.

٣٧. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لابن جني، تحقيق: علي النجدي وآخرون، لجنة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ- ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

Issn:2071-6028

٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٣٩. مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ب. ت).
٤٠. مسند الإمام البزار: لأبي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٤١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: للعلامة احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (ب.ت).
٤٢. معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٤٣. معترك الأقتران في إعجاز القرآن: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٤٤. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٤٥. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، طبعه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٤٦. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، بيروت، ١٩٨٤م.
٤٧. النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب. ت).
٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

Issn:2071-6028

٤٩. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: لهارون بن موسى، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دائرة الآثار والتراث، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

Issn:2071-6028